



ISSN: 1817-6798 (Print)
Journal of Tikrit University for Humanities
available online at: www.jtuh.org/



Zayad Ali Abdullah saleh Al-Ajli

University Of Tikrit/College Of Education for Human Sciences

* Corresponding author: E-mail :
Zayad.a.abdulla@tu.edu.iq

Keywords:

Crusades
General Isfahani
Ambroise
Third Crusade
Battle of Arsuf

ARTICLE INFO

Article history:

Received 1 Sept 2024
Received in revised form 25 Nov 2024
Accepted 2 Dec 2024
Final Proofreading 2 Mar 2025
Available online 3 Mar 2025

E-mail t-jtuh@tu.edu.iq

©THIS IS AN OPEN ACCESS ARTICLE
UNDER THE CC BY LICENSE

<http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/>



Battle of Arsuf in the Third Crusade: A Comparative study of Arab and Crusader Sources Al-Isfahani and Ambroise as an Example

ABSTRACT

Mentioning the Crusades brings back to our memory an image laden with blood and violence that characterized those wars. They were a series of excessively bloody events that characterized the Middle Ages and were associated with barbarism and formal religiosity. This was a natural reflection of the European mentality at that time. There appeared many ideological studies of those wars that were characterized by change for those historians and writers, producing several studies that included many mythical illusions because they saw those wars as a sacred matter. They contributed to supporting papal propaganda that tried to dress those wars in a garb. Religiously, after that, it was a holy war ordered by God. They launched those slogans in the name of religion to cover up the political and colonial ambitions of Europeans, both secular and religious. For them, those wars were holy, in which Europe made enormous human and financial sacrifices. As for us, they were an unjust aggression that lasted for two centuries. They were the longest human wars ever. We are here in the process of reading a comparison of the two most prominent people who witnessed this campaign and recorded it, Ibn al-Imad al-Isfahani and Ambroise, to address the events of that campaign from the political and military perspectives to show one of those hidden aspects in the history of those wars that need someone to shed light on them, knowing that historical writings related to that period in general were diverse, although most of them were characterized by being in the form of encyclopedias that dealt with different events in all fields.

DOI: <http://doi.org/10.25130/jtuh.32.3.7.2025.19>

معركة ارسوف في الحملة الصليبية الثالثة دراسة مقارنة ما بين المصادر العربية والصليبية
(الاصفهاني وامبروز أنموذجاً)

زياد علي عبدالله صالح العجيلي/ جامعة تكريت/ كلية التربية للعلوم الانسانية

الخلاصة:

إن ذكر الحروب الصليبية يعيد إلى ذاكرتنا صورة مثقلة بالدماء والعنف التي اتسمت بها تلك الحروب،

فكانت جملة من الأحداث الدموية المفرطة التي اتصفت بها العصور الوسطى واقتترنت بالهمجية والتدين الشكلي وهي انعكاس طبيعي للعقلية الأوروبية في تلك المدة، وظهرت هناك العديد من الأبحاث الإيديولوجية لتلك الحروب التي اتسمت بالتغيير لأولئك المؤرخين والكتاب منتجين أبحاثاً عدة ضمت في طياتها كثيراً من الأوهام الأسطورية كونهم يرون في تلك الحروب امراً مقدساً، إذ أسهموا في دعم الدعاية البابوية التي حاولت إلbas تلك الحروب لبوساً دينياً بعدّها حرباً مقدسة أمر بها الرب، فأطلقوا تلك الصيحات باسم الدين لتغطية الأطماع السياسية والاستعمارية لدى الأوروبيين من علمانيين ومتدينين، فكانت تلك الحروب بالنسبة لهم مقدسة قدمت بها أوربا تضحيات بشرية ومالية هائلة، أما بالنسبة لنا فكانت عدواناً ظالماً استمر طوال قرنين من الزمن، فكانت أطول حروب بشرية على الإطلاق، ونحن هناك بشأن قراءة مقارنة لأبرز اثنين ممن عاصروا هذه الحملة وأرخا لها، هما ابن العماد الاصفهاني وامبرواز لمعالجة أحداث تلك الحملة من الناحيتين السياسية والعسكرية لإظهار جانب من تلك الجوانب الخافية في تاريخ تلك الحروب التي هي بحاجة إلى من يسلط عليها الأضواء علماً أن المؤلفات التاريخية المتعلقة بتلك المدة عموماً كانت متباينة وإن اتسمت اغلبها بأنها كانت على شكل موسوعات تناولت أحداثاً مختلفة في الميادين كافة.

الكلمات المفتاحية : الحروب الصليبية , العماد الاصفهاني , امبرواز , الحملة الصليبية الثالثة , موقعة ارسوف

المقدمة

يعد مصطلح الحروب الصليبية من هذه التعابير الأكثر شيوعاً منذ القرن التاسع عشر بل يكاد يكون المعبر الوحيد عن اهداف ومعنى الحروب التي شنها الغرب النصراني على الشرق الاسلامي حتى لو استعملت عناوين أخرى فلا يمكن لأحد إلا أن يستخدم كلمة الحروب الصليبية - الصليبي في الكتابات والترجمات (رنسيما , 1994 , ص22)

وارتبط المفهوم بالصليب الذي يتمتع بقدسية في الفكر النصراني منذ القرون الاولى لظهور وانتشار النصرانية بعدما كان له دور في تنصير الامبراطور قسطنطين واعترافه بالمسيحية كديانة رسمية في الامبراطورية الرومانية ثم ما قامت به امة هيلانة بإيجاد الصليب المقدس وبناء كنيسة القيامة فتحول إلى رمز للنصارى فكان لا يغيب عن المراسيم والاحتفالات الملكية ويعلنون أنّ الجيوش المسيحية هي رمز لقوة حقيقية محمولاً على صولجان في اثناء تقدمهم في المعارك (شنا , 1992 , ص1476)

وكانت اهانة هذا الرمز هو اهانة للنصارى جميعاً، لذا عندما حقق الساسانيون(الشرطاني , 2010 , ص255) الانتصار على البيزنطيين اخذوا الصليب المقدس من بيت المقدس إلى المدائن سنة ٦١٤م (جواد , 2001 , ص270) امعاناً بالمهانة والاذلال لم تستطع الدولة البيزنطية محو هذا العار الا بعد تحقيق الانتصار على الساسانيين سنة (٦٢٨م / 7هـ) وارجاع الصليب المقدس إلى بيت المقدس

كان الصليب حاضراً في الصراع الاسلامي البيزنطي وهو أمر طبيعي للدلالات المعنوية لمثل هذه الأمور على نفوس الجند إذ كان المسيحيون يرون فيه رمزاً للحياة وللخلاص وفداء السيد المسيح للبشرية جمعاء وفي النهاية هو معهم في قتالهم لأعدائهم (اليوسف , 1966 , ص 94-95) فضلاً عن استعماله رمزاً لقوة يصل عددها عشرة آلاف جندي حافظ الصليب على قدسيته ورمزيته حتى بعد أن سيطر المسلمون على الأماكن المقدسة النصرانية المقدس و انطاكية و الاسكندرية. إن اشارة البابا اوربان الثاني في خطابه بكليز مونت (زيات , 2005 , ص10) (٤٨٩هـ / ١٠٩٥م) إلى التوسم بالصليب (رنسيما , 1966 , ص 125-126) لإعطاء الجيش حامل الصليب قوة معنوية واندفاعاً حماسياً للتوجه إلى بيت المقدس في طريق الموت فيه اكيد لكثرة الصعوبات التي تواجه سالكيه فصورت الكنيسة هذا الطريق هو طريق السير على خطى السيد المسيح لتحقيق (مملكة الله في الارض ومركزها القدس وآمن الناس بهذه الافكار وزاد من الاعتقاد بواقعيته انتشار الأفكار الاخرية في الألفية وقرب نزول السيد المسيح لتأسيس مملكته (قاسم , 2001 , ص77) .

وحاول الكتّاب المسلمون أن يوضحوا غلو المسيحية في الصليب لذلك نعتوهم بـ (عباد الصليب لكن لم تظهر عملية التوسم -بالصليب- Crusade إلا بعد مؤتمر كليرمونت (١٠٩٥م / ٤٨٩هـ عندما تحولت إلى ظاهرة لها معناها وهي التوجه لقتال المسلمين فذكر جوانفيل - في حديثه في الأدب العربي عن الملك لويس التاسع لغزو تونس، الحملة الصليبية الثامنة قائلاً: (فوجدته قد صعد الى الهيكل الذي توجد به الآثار المقدسة وقد أمر بإنزال الصليب الحقيقي في حين كان الملك نازلاً درج الهيكل راح فارسان من اعضاء مجلس الشيوخ يتجادبان الحديث فيما بينهما فقال احدهما للآخر وان صلب الملك نفسه فسيكون ذلك من افجع الأيام التي مرت بها فرنسا لأننا سنفقد عطف الملك إن لم نحمل الصليب واما اذا حملناه فسوف نفقد عطف الرب لأننا حملناه هذه المرة ليس في سبيل الله بل خوفاً من الملك) (جوانفيل , 1968 , ص311)

ويذكر في نص آخر أن ملك فرنسا وملك نافاره يلبسان الصليب . تطور الظاهرة (التصلب) جعل مشتقات كلمة الصليب تستعمل مع الحج والحجاج فصارت (الحج الصليبي) و (حملة الحجاج الصليبية) (جوانفيل , 1968 , ص311-312)

ولكي لا نطيل الحديث عن الحروب الصليبية ، فسوف نقسم هذا البحث على النحو الآتي :

المبحث الأول :

اولاً : نبذة عن حياة كلا المؤرخين (العماد الأصفهاني وامبرويز)

المبحث الثاني

اولاً : انطلاق الحملة الصليبية الثالثة

ثانياً : معركة أرسوف .

الخاتمة

المبحث الاول : نبذة عن حياة كلا المؤرخين (العماد الأصفهاني وامبرويز)

اولاً : العماد الأصفهاني :

هو أبو عبد الله عماد الدين محمد بن صفى الدين أبي محمد بن نفيس الدين أبي الرجاء حامد بن محمد بن عبد الله بن علي بن محمود بن هبة الله المشهور بالعماد الأصفهاني الكاتب ، (ابن خلكان ، 1994 ، ص147) والمعروف بابن أخي العزيز

ولد العماد الأصفهاني يوم الاثنين ثاني جمادى الآخرة، سنة تسع عشرة وخمسمائة هجرية ،(ابو نصر ، 2002 ، ص109) ونشأ في بيت عرف بالرئاسة والفضل والكتابة، وكان اتصال هذا البيت بالدولة السلجوقية وثيقاً، وقد كان جده أبو الرجاء حامد بن محمد مهتماً(الحموي ، 1413 هـ ، ص179)

الشعر العربي (ابن الجوزي ، 654 هـ ، ص 505)، أما عمه أبو طالب الملقب ببهاء الدين، فقد وزر لأقسنقر الأحمديلي الذي كان في خدمة السلطان مسعود صاحب خراسان (البنداري ، 642 هـ ، ص 105)، ثم رتبته السلطان مسعود في منصب الاستيفاء (الاسعد ، 606 هـ ، ص466)

أما والد العماد صفى الدين محمد، فقد كان متصلاً بالسلطين والوزراء، وقد مكنه من ذلك، ما لأخيه العزيز من حظوة عندهم، لكن نكبة أخيه جعلته يبتعد عن الإدارة والسياسة، وعندما عرضت عليه الوزارة أبى أن يتولاها، لأنه قد حلف ألا يخدم بعد العزيز سلطاناً، ولا يتولى ديواناً ، قبر بيمينه مدة عمره (البنداري ، 642 هـ ، ص165)

قضى الأصفهاني حياته الأولى في أصفهان، حيث مضى فترة الطفولة المبكرة، وبدأ بتلقي دروسه التعليمية، وأخذ يدرس القرآن الكريم، والحديث الشريف، وفي عام ٥٣٢هـ، ذهب العماد مع أبيه وأخيه الصغير أبي بكر إلى قاشان، وسلمها أبوهما إلى صديق له، ويصف ذلك فيقول: "وأقمنا بها سنة نتردد إلى المكتب، ونشتغل بالقرآن والكتب الأدبية (البنداري، المصدر نفسه، ص 166)

ثم عاد العماد إلى أصفهان ونتيجة لانعدام الأمن في أصفهان رحل والد العماد إلى بغداد، وقد وصف العماد هذا الرحيل بقوله: "ولما نقلني والدي من أصفهان إلى بغداد، حين نبا بعد النكبة بنا الوطن، وضاق العطن، ولم نجد الأمن والسلامة واليمن إلا في ظل الدار العزيزة المقتفوية، فسكننا مدينة السلام، واتخذناها دار المقام، وذلك في سنة أربع وثلاثين وخمسمائة، وقد بلغت سني خمس عشرة سنة (الأصفهاني، ج 2، ص 53-54)

وبدأ العماد طريقه في تحصيل العلم والأدب، فالتحق بالمدرسة الثقتية (ابن الأبري، ج 1، ص 134) ببغداد، وظل يتردد إليها ثلاث سنوات، انتقل بعدها إلى المدرسة النظامية، (السلجوقي، 457هـ، ص 128) التي كانت مركز العلوم القرآنية وتفسيرها، والأحاديث النبوية وروايتها، والأدب وفروعه

وكان العماد طالباً نشيطاً، مكباً على العلم، متنقلاً بين حلقات المناظرات ومجالس الوعظ، ولم يكتف بما حصله من هذه العلوم بل مال إلى الرياضيات واشتغل بحل إقليدس، كما يذكر في الخريدة (الخريدة، ج 1، ص 161)

واشتغل العماد بالكتابة، بعد عودته إلى بغداد، وبدأ يتقرب إلى الخليفة المقتفي لأمر الله بقصيدة سنة ٥٥٢هـ (الأصفهاني، بلا، ص 151) وخلال إقامته في بغداد، اتصل العماد بالوزير عون الدين يحيى بن هبيرة، (ابو المظفر، 560 هـ، ص 330) وزير الخليفة العباسي المقتفي، فولاه نيابة البصرة (المعطار، بلا، ص 105) ثم واسط. ولما توفي الوزير عون الدين بن هبيرة، قام الخليفة المستنجد ٥٥٥-٥٦٦هـ باعتقال أبناء الوزير وأعوانه ومن ضمنهم العماد وإيداعهم السجن، وتحول نعيمه إلى بؤس وشقاء، ويصف العماد هذه الحادثة فيقول: ولما توفي الوزير ابن هبيرة اعتقلت في الديوان ببغداد، بسبب منابتي واسط والبصرة وبعد خروج العماد من السجن رحل إلى دمشق، (ابو شامة، ج 2، ص 17) ونزل في المدرسة النورية، وأخذ العماد يتردد إلى مجالس القاضي الشهرزوري (زنكي، ج 1، ص 309) ويشارك الاستدلال والاعتراض في الأصول والفروع على الأئمة الفحول (الشهرزوري، 572هـ، ص 34)

وكان العماد له معرفة بنجم الدين أيوب والد صلاح الدين الأيوبي، لسابق معرفة جمعت بين نجم الدين وعمه العزيز ، (البنداري ، 642هـ ، ص 18) وعندما عرف نجم الدين بوصول العماد بادر إلى منزله لتبجيله ، ومدحه العماد بقصيدة. فشكره نجم الدين أيوب، وأحسن إليه وأكرمه وقدمه على الأعيان وميزه، وعرفه على ابنه صلاح الدين(الحموي ، ج 6 ، ص2624)

ثم توطدت العلاقة بين العماد ونور الدين محمود ، فلزمه ولم يفارقه، وكتب مراسلاته بالعربية والفارسية، وعلت منزلته عند نور الدين، مما جعل نور الدين يعتمد عليه في بعض المهمات، ففي سنة ٥٦٥هـ ، أرسله نور الدين لطلب النجدة من صاحب خلاط ، (الاصفهاني ، بلا ، ص79)

ومتوليها حينئذ ظهير الدين سكران المعروف بشاه أرمن (الحميري ، 900هـ ، ص220)لازم العماد نور الدين في حضره وسفره ، وشهد معاركه ، وتغنى بانتصاراته ناظماً القصائد المعبرة عن هذه الفتوحات ، وكتب باسمه الرسائل لمختلف الأمصار ، وهكذا قضى العماد قرابة ثماني سنوات في العمل المتواصل ، والجهاد الدائم، وحظى بثقة نور الدين واحترامه له، إلى أن توفي نور الدين سنة ٥٦٩هـ (ابو شامة ، ج 2، ص148)

وفي عهد صلاح الدين الأيوبي تولى العماد الأصفهاني منصب الإنشاء، وبذلك فإن العماد قد خلد اسمه في التاريخ، بعد أن استكتبه صلاح الدين ووثق به وقرّبه إليه وصار من أعيان الدولة، وقد لزم العماد صلاح الدين الأيوبي قرابة عشرين عاماً، يمدحه ويمجده في بطولاته وانتصاراته وأنشأ الرسائل باسمه إلى الولايات والأمصار ورافقه في تنقلاته ورحلاته بين المدن والأقطار، وشهد فتوحاته (الجزري ، 630هـ ، ص55)

وعنى العماد بالكتابة والتأليف، ومن أشهر مؤلفاته : البرق الشامي، وخريدة القصر وجريدة العصر ، والفتح القسي في الفتح القدسي، ونصرة الفترة وعصرة الفطرة، ديوان شعر، ديوان الرسائل عتبي الزمان عتبي الحدثان، خطفة البارق وعطفة الشارق (البنداري ، بلا ، ص90)

ويعد كتاب الفتح القسي في الفتح القدسي، هو سجل أرخ فيه ما قام به السلطان صلاح الدين الأيوبي من فتوحات وحروب، وهو سجل حربي من أول سنة ٥٨٣هـ ، إلى أواسط ٥٨٩هـ ، وهي السنة التي توفي فيها السلطان صلاح الدين الأيوبي، واختار العماد الأسلوب الأدبي للكتاب، كما أن المؤرخ يجد فيه ما يفيد (خلكان ، ج 5، ص150)

ثانياً : المؤرخ الصليبي امبرويز :

على الرغم من شح المعلومات المتوفرة عن سيرة امبرويز قبل الحملة الصليبية الثالثة، وكل ما توصلنا له هو استنتاجات من خلال رواياته للحملة الثالثة، أنه كان شاهد عيان لمعظم احداث الحملة الصليبية الثالثة التي تولى يعتقد انه شاهد عيان، ولم يكن امبرويز فارساً من الفرسان، ولا مقاتلاً يحمل السلاح، كما أنه لم يكن

كاهناً ، بل كان شاعراً مميّزا للشعر الفرنسي، وهذا الأمر ملاحظ في كتابه، وكان وفق جميع الاحتمالات مغنياً جوالاً أو شاعراً محترفاً، وكان من أصل نورماندي، ثم إن إشارات المتواليّة لشخصيات غير معروفة من أحواز منطقة افرو Evreux تسوغ افتراض أنه من أبناء تلك المنطقة (سهيل ، ج32 ، ص10)

واهتم امبرويز بتسجيل أحداث صليبية الملك الإنجليزي ريتشارد الأول المعروف بقلب الأسد إذ يرجع الفضل في اكتشاف مدونته إلى المؤرخ الفرنسي جاستون باريس الذي اكتشف نسخة هذه المدونة المكتوبة بالفرنسية القديمة على رفوف مكتبة الفاتيكان فنشرها بلغتها الأصلية عام ١٨٧١م. ثم أصدر بعد ذلك ترجمة لهذه المدونة باللغة الفرنسية الحديثة عام ١٨٩٧م بالعنوان ذاته ثم صدرت لها ترجمة باللغة الإنجليزية عام ١٩٤١ على يد مرتون جيرم هيوبرت وجون لا ليمونت: (صبح ، 2008 ، ص8)

وتعد مدونة امبرويز المصدر الأول بين المصادر الصليبية التي تناولت الصليبيين الانجليز في الحملة الصليبية الثالثة، في صورة يوميات كتبها صاحبها اعتماداً على مشاهداته ومشاركته في الأحداث، وهو ما يضفي عليها مزيداً من الاهمية، سواء فيما يتعلق بالجانب الصليبي أم الإسلامي، بالإضافة إلى أنها سير نجحت – إلى حد بعيد - في رسم توضيح دور الإنجليز بقيادة ريتشارد قلب الأسد (١١٨٩ - ١١٩٩م) ؛ إذ تناول أمبرويز في مدونته تفاصيل الحياه اليومية عن المقاتلين الصليبيين ومجريات تلك الحملة

الصليبية في الشرق، منذ وصوله انطلاقاً من اوربا الى قبالة عكا، مروراً بحيفا ، حتى الداروم على البحر المتوسط، وتعمقاً في قلب فلسطين حتى بيت المقدس وما قام به الصليبيون من أعمال في المناطق التي مروا بها، ويضاف إلى ذلك أن أمبرويز قدم لنا صورة فريدة لم تتكرر في تاريخ الصراع الصليبي الإسلامي فيما يتعلق بسماح المسلمين لصليبي الحملة الثالثة بزيارة الأماكن المقدسة في فلسطين عقب صلح الرملة، وفي هذا الشأن حكى أمبرويز وقائع زيارته هو نفسه إلى هذه البقاع ، وما أظهره المسلمون من تسامح مع هؤلاء الحجاج (صبح ، المصدر نفسه ، ص12)

المبحث الثاني

اولاً: الحملة الصليبية الثالثة

كان وضع الصليبيين بائس في أثناء محاصرة عكا وذلك قبل وصول ملك انكلترا والحملة ، فيشير امبرويز أنهم اضطروا إلى أكل الأعشاب ولحوم الخيول الميتة، التي كانت تباع في كثير من الأحيان بأسعار خيالية، فسبب ذلك لهم أمراضاً سقيمة مما أدى إلى وفاة اعداد كبيرة منهم ، وتوجه المستأمنين إلى المعسكر الإسلامي، (امبرويز ، بلا ، ص174) عارضين خدماتهم على المسلمين مقابل تزويدهم بالمواد الغذائية الضرورية، (الاصفهاني ، بلا ، ص250) ثم نجاح الحامية الإسلامية في إحراق معظم مجانيقهم ومعداتهم العسكرية فقد تطابقت وجهات نظر المؤرخين في هذا المفصل

واستمرت معاناة الصليبيين إلى نهاية فصل الشتاء، فبعد أن ساد الهدوء مياه البحر، وصل إلى شاطئ عكا عدد من السفن المحملة بكميات كبيرة من المواد الغذائية، وبأنباء قدوم الحملة الثالثة ،(امبرويز ، المصدر نفسه ، ص156) وخلال ذلك الوقت ، كان الملك الانجليزي ريتشارد قلب الأسد، والملك فيليب أغسطس، قد عقدوا العزم على التوجه إلى عكا للانضمام إلى جموع الصليبيين المحاصرين لمدينة عكا (السلطانية ، بلا ، ص156-168)

ففي تموز ١١٩٠م جمادى الثانية ٥٨٦هـ ، تحركت الأساطيل البحرية المؤلفة من سفن بيزا وجنوا والبنديقية من ميناء فيزويلاي الفرنسي (امبرويز ، المصدر نفسه ، ص73) باتجاه عكا، فوصلها الملك الفرنسي في الثاني عشر من ربيع الأول ٥٧٨هـ العشرين من إبريل ١١٩١م ، وبصحبه ست شوان كبيرة تحمل الجنود والفرسان الذين قدر عددهم بحوالي ستين ألفاً، بالإضافة إلى الإمدادات التموينية والمعدات العسكرية ، (الاصفهاني ، بلا ، ص250-64) ففوى بوصولهم عزم الصليبيين بمن فيهم جماعة فرسان الاسبتارية والداوية وكذلك قوات المدن التجارية ، الذين قاموا جميعهم بتسخير إمكانياتهم المتوافرة كافة، من أجل الإسراع في بناء الآلات العسكرية والأبراج وعمل الخنادق والانفاق تمهيداً للهجوم على أسوار المدينة ولما أنهى الفرنسيون ومن كان معهم من الصليبيين ترتيباتهم العسكرية، انقسموا على قسمين قسم هاجم المدينة من ناحية البر والبحر ، ولعل الهدف من هذه الخطة العسكرية إنهاك القوات الإسلامية المتمركزة داخل المدينة وخارجها قبل وصول الأسطول الإنجليزي (الاثير ، ج12، ص71)

وتحرك الملك الإنجليزي الى عكا قادماً من مسينا في العاشر من نيسان ٥٨٧هـ / ١١٩١ ، على رأس أطول رتل يتألف من مائة وثمانين سفينة. ووصل الملك ريتشارد إلى سواحل الشام، واتجه جنوباً ماراً

جبيل وبيروت ، (امبرويز , بلا , ص106) وقبل وصوله شواطئ عكا، التقى أسطوله بسفينة للمسلمين كانت تحمل الإمدادات الغذائية والمعونات العسكرية، إذ قدرت حمولتها من الجنود بحوالي ستمائة وخمسين رجلاً، فأحاطت بها السفن الإنجليزية، ثم تقدمت منها سفينة حربية فأغرقتها ، ووصف العماد الأصفهاني في حادثة السفينة بقوله (فلما يؤست من سلامتها ومالت إلى الاستسلام، قال مقدمتها) علام نسلما والموت بعز خير لنا من الحياة بالذل، فنزل إلى البسطة فخرقها ومانع عنها حتى أغرقها ، وكانت هذه الواقعة أولى حادثة للوهن محدثة (وهنا دليل افروامع عمر وجود المؤرخين ضمن الحملة وكلاً حسب موقعه وشاهدا اوسمعا عن قرب ما جرى لهذه السفينة) ثم تابع رحلته نحو عكا التي وصلها في الثامن من يونيو ١١٩١ م الثالث عشر من جمادي الأولى ٥٨٧ بصحبة خمس وعشرون من السفن والشواني فأثار بوصوله فرح جميع الصليبيين الذين يعسكرون بالقرب من أسوار المدينة (الاصفهاني , بلا , ص252)

وعندما وصل الملك ريتشارد إلى شواطئ عكا، تولى في بداية الأمر عملية تنظيم صفوف جيشه بعناية، حيث قام بتقسيمه إلى فرق عسكرية، كل فرقة كانت تضم الفرسان والمشاة ويتبعهم رماة السهام والرماح والنشاب ،(ابن شداد , بلا , ص150) حتى يكونوا على استعداد لتشكيل جدار متين إذا ما حاولت الجيوش الإسلامية التصدي لهم، وكانت تصحبهم أيضاً قوافل الامتعة والإمدادات الغذائية والعسكرية، من الأغلام والمجانيق التي تم إعدادها وبنائها من اجل محاولة هدم أسوار المدينة (ابن واصل , ج 2 , ص356)

وإلى جانب الاستعدادات العسكرية، لجأ الصليبيون إلى استخدام النساء في. إغراء بعض أفراد القوات الإسلامية المرابطة خلف معسكراتهم ، مما ساعد الصليبيين في معرفة الكثير من أسرار المسلمين، وقد أدت استعدادات الصليبيين هذه إلى ازدياد معاناة سكان المدينة وضعف قدرتهم على الاستمرار في المقاومة (ابو شامة , ج 2 , ص149)

وأمام ضعف حامية المدينة عن قتال الصليبيين، عقد حامي مدينة عكا اجتماعا مع أمراء القوات ، فجاءت موافقتهم على إجراء مفاوضات مع الصليبيين، هدفت إلى تسليم عكا للقادة الصليبيين وما فيها من ذخائر مقابل السماح لسكان المدينة بالخروج منها ، على أن يطلق لهم السلطان صلاح الدين سراح أسرى بعددهم من سجنونه إلا أن زعماء الصليبيين وقادتهم رفضوا هذه الاقتراحات، مطالبين بإعادة جميع البلاد، بما فيها عكا إلى السيادة الصليبية ، وإطلاق سراح جميع الأسرى من المعازل الإسلامية . (ابن واصل , ج 2 , ص359-363)

رفض صلاح الدين شروط الصليبيين، وعاود محاولته إقناع العساكر بذل أقصى ما في وسعهم لمواجهة الصليبيين (الاصفهاني , بلا ص266) وعندما شعر الصليبيون بضعف الحامية وضعف العساكر

الإسلامية، نصبوا أدوات الحصار براً وبحراً، ثم قاموا في السادس من يوليو ١١٩١ م الحادي عشر من جمادى الآخرة ٥٨٧هـ ، بشن هجوم شامل على أسوار عكا

وأمام قوة الحصار الصليبي، وقلق السكان وخوفهم، دفع الوالي بهاء الدين قراقوش يفاوض الصليبيين بشروط مذلة، والتي نصت على : التنازل عن عكا يوم السابع عشر من جمادى الآخرة ٥٨٧هـ الثاني عشر من يوليو ١١٩١ م ،(ابن شداد , بلا , ص160) وتسليم كل ما فيها من ذخائر وأموال وعتاد عسكري ، ودفع غرامة مالية قدرها مائتي ألف قطعة ذهبية، وإطلاق سراح ألف وستمئة من أسرى الصليبيين المجاهيل لدى السلطان صلاح الدين ومائة فارس ذكروا بأسمائهم ، وإعادة صليب الصليب المقدس " ، كما أعطى السلطان مهلة شهر واحد للوفاء بشروط المعاهدة

وكان لسيطرة الصليبيين على عكا بهذه الصورة قد أثار غضب السلطان صلاح الدين لذلك حاول - دون جدوى - حمل العساكر الإسلامية على مواجهة الصليبيين وإجبارهم على التراجع عن شروطهم الصعبة ، (ابن واصل , ج 2 , ص365) خاصة وأن عكا ذات أهمية عسكرية كبيرة، فضلاً عن أن المدينة كانت تحوي كميات كبيرة هائلة من الأسلحة والآلات العسكرية التي تأتي إلى الحامية الإسلامية من بيت المقدس وحيفا وقيسارية ويافا، وكذلك من دمشق وحلب والديار المصرية (ابن شداد , المصدر نفسه , ص 156)

ثانياً : موقعة أرسوف :

أرسوف هي مدينة تقع على ساحل بحر الشام بين قيسارية ويافا ، وذكر امبرويز جغرافية أرسوف فقال : تقع أنهار عدة بين قيسارية وأرسوف، وهي بالترتيب : النهر الميت ووقع إلى الجنوب من قيسارية ، ثم نهر الملح جنوب النهر الميت، ونهر روشيتايل أو نهر الفالق؛ ووقع إلى الشمال من أرسوف" (الحنبلي , 739هـ , ص56)

وبعد أن تمكن الصليبيون من استعادة مدينة عكا الساحلية وانتزاعها من قبضة المسلمين . وضع الملك ريتشارد قلب الأسد خطة تقضي باسترداد المدن الواقعة على شاطئ فلسطين من عكا حتى عسقلان، قبل أن يتوجه إلى الداخل ليسترد بيت المقدس، فغادر عكا يوم الخميس في 29 رجب 587هـ على رأس الجيش الصليبي، متخذاً الطريق الساحلي لكي يلقي جناحه الأيمن الحماية والتموين من الأسطول الصليبي، ولم تكن ظروف الرحلة سهلة، فقد عانى الصليبيون من تضاريس الحر، وقلة المؤن، وخراب المدن والقرى التي مروا بها، ومضايقة المسلمين لمؤخرتهم (الاصفهاني , بلا , ص278) وذكر العماد الأصفهاني أن الجيش الأيوبي قد احتوى على عناصر المشاة، وكذلك الخيالة الثقيلة، أما قياداته فإلى

جانب السلطان الأيوبي، كان هناك العادل أبو بكر شقيق صلاح الدين، وكذلك عسكر الموصل، وقايماز النجمي

وكان ضمن القيادات الأيوبية التي شاركت في المعركة الأمير أي تقي الدين ، ووصفه كان قريباً لصلاح الدين ، وكان حامل المعركة ويعارض هذه الرواية، ما ذكره أن تقي الدين المشار إليه هو تقي الدين عمر صاحب حماه، وهو ابن أخ صلاح الدين ، وقد كان وقت معركة أرسوف مشتبكاً في معركة أخرى في الشمال، على نحو يجعل من حضوره معركة أرسوف أمراً مشكوكاً فيه، أما تواجد علمه في ساحة المعركة، فربما كان موجوداً في المعركة، مرفوعاً على أيدي بعض أتباعه من حماة الذين خدموا مع جيش صلاح الدين (امبرويز , بلا ص121)

ومن القيادات التي قادة معركة أرسوف كونت أوف ليسستر وهيو دي جورناي ، وهو إحدى الشخصيات القارات أهله البارزة من بين الصليبيين، إذ أنه كان ذا إقطاع كبير في نورماندي وله أراض في وندفري ، وهناك أيضاً وليم دي بورييس ومن المعروف أنه فارس فرنسي، ولم يكن من عناصر الصليبيين المحليين في بلاد الشام، ووليم دي بارا والشلين دي فريير ، وروجر دي تيوني ، جيمي دي أفيسن ، والكونت روبرت دي دور ، ووليم دي مليو ومقدم هيئة الاستبارية جارنييه دي نابلس الذي ولد في بلاد الشام وصاحب ريتشارد الأول في حملته الصليبية من إنجلترا، وتدرج في عدد من المناصب حتى صار مقدماً لتنظيم الإستهارية من ٥٨٦-١١٩٠هـ , ٥٨٨ ١١٩٢م (امبرويز , المصدر نفسه , ص 118)

وذكر ابن العماد أن في صباح السبت الرابع عشر من شعبان ركب الصليبيون صوب أرسوف، وقد ضم الرجال والفرسان، وهذا شبه اجماع من المصادر أن المعركة جرت في ٧ سبتمبر ١١٩١م | ١٤ شعبان عام ٥٨٧هـ (الاصفهاني , المصدر نفسه , ص 285)

وقسم امبرويز الصدام الحربي في أرسوف على ثلاث مراحل، المرحلة الأولى: اتسمت بالتفوق الأيوبي، وإلحاق الخسائر بالصليبيين الذين اتخذوا جانب الدفاع، المرحلة الثانية : فهي الهجوم الصليبي المفاجئ ، والتحول من الدفاع إلى الهجوم، وفي المرحلة الثالثة : الانسحاب من جانب الجيش الأيوبي إلى غابة أرسوف،، ومحاولة القيادة الأيوبية تدارك الموقف والصمود في وجه الصليبيين قدر المستطاع، ومن الممكن ملاحظة أن المراحل الثلاث كانت متواصلة، ويلاحظ مما سبق : أن الجيش الأيوبي بادر بالهجوم على الصليبيين ، معتمداً على المشاة، وقد امتدح امبرويز المشاة ووصفهم أنهم امتازوا بأنهم سريعي الحركة، ولم يتوقفوا عن الهجوم على الصليبيين، ولم يأخذوا أي قسط من الراحة

إذ أنهم هاجموا بشدة وعنف أدى إلى خسارة الصليبيين خسارة فادحة، وتساقطت خيول الصليبيين بأعداد كبيرة صراعى (الاصفهاني , بلا , ص286)

وأشار امبرويز أن الجيش الأيوبي نجح بصورة كبيرة في محاصرة الجناحين الأيمن والأيسر للجيش الصليبي ، ويبدو أن هذه كانت مرحلة صغيرة قبل أن تتقلب الدفة لصالح الصليبيين ، وكان هجوم المسلمين على الأمتعة والعتاد الصليبي، ليلحقوا أكبر الخسائر بالجيش الصليبي (امبرويز , بلا, ص119)

كما اكد ابن العماد تلك الحوادث وبالتفصيل اي تطابق وجهات النظر بينهما والمتبع لسياسة الصليبيين في معركة أرسوف ، يجد مدى خوف ريتشارد من الهجوم الأيوبي، لذلك نجد أن الملك الإنجليزي يصدر اوامره لقواته بعدم الرد على هجمات الجيش الأيوبي ، وضبط النفس ولكن هذا الأسلوب لم يلق الرضا من جانب بعض القيادات الصليبية الأخرى، كالإسبانية، ومنهم " جارنيه دي نابلس الذي اتجه صوب الملك ريتشارد موضحاً له أن جنده ضاقوا ذرعاً بسياسة الدفاع التي انتهجها ، وسياسة الحذر ، ولكن الملك ريتشارد طالبه بالانضباط (امبرويز , المصدر نفسه , ص119-124)

وهنا عد ابن العماد هذه الهزائم التي لحقت بالصليبية تتجه نحو ضعف وانهاك الجيش الصليبي بسبب كثرة التعرضات الاسلامية ولم يزد تشكيل الصليب ولم تستمر هذه السياسة كثيراً، فعندما لاحظ ريتشارد أن زمام المعركة بدأ يفلت من قبضته أمر بالاصطدام مع المسلمين ، والتوقف عن مرحلة الدفاع المنظمة وتحويلها الى مرحلة هجوم وهذا ما اكداه ابن العماد وسبب في ذلك التحول من الدفاع الى الهجوم وما الت اليه هذه المواجهة (الاصفهاني , المصدر نفسه , ص285)

وانتهت المعركة بهزيمة المسلمين ، واستيلاء الصليبيين على أرسوف. ويذكر امبرويز أن عدد الأمراء والقادة الذين سقطوا من جانب المسلمين في المعركة قد بلغ اثنين وثلاثين أميراً وقائداً ، وسبعمئة من الجند (امبرويز , المصدر نفسه , ص123)

وشهد معسكر الصليبيين قتلى وجرحى بخاصة في المرحلة الأولى التي شهدت هجوماً عنيفاً من المسلمين ، وأشار العماد الأصفهاني أن الصليبيين خسروا في معركة أرسوف عناصر قيادية من أبرزها جاك دي أفسين، أو السير جاك ، (الاصفهاني , المصدر نفسه , ص287) وأضفى عليه امبرويز صفة البطولة، إذ أشار أنه قبل أن يقتل ، قتل ما يقرب من خمسة عشر تركياً قطعهم إرباً ، ثم لقي هو مصرعه (امبرويز , المصدر نفسه , ص124)

وهذه الرواية مغايرة لرواية العماد الأصفهاني ، إذ ذكر أن الصليبيين عملوا على حمايته ، فما قتل إلا وكان قد قتل بجواره عدد منهم بذلوا أرواحهم من أجل الدفاع عنه (الاصفهاني , بلا ص287) وقد حزن السلطان صلاح الدين كثيرا بحيث لم يقبل مواساة من أحد، وذلك بسبب مقتل بعض أمرائه وكثير من جنده، وقد عبر ابن شداد عن شعور صلاح الدين، بأنه " كان في قلبه من الوقعة أمر لا يعلمه إلا الله، والناس من جريح الجسد وجريح القلب (ابن شداد , بلا , ص278) وتعد معركة أرسوف أول معركة مكشوفة جرت بين المسلمين والصليبيين منذ معركة حطين، وأول هزيمة قاسية لحقت بالمسلمين بعد سقوط عكا (طقوش , بلا , ص 506)

الخاتمة :

في نهاية البحث يمكن أن نستخلص عدة نتائج :

أولاً: أن الحركة الصليبية هي إحدى الظواهر الرئيسة المميزة لتاريخ العصور الوسطى، وقد استمدت أهميتها من جوانب عدة، من أهمها أنها استغرقت قرنين من بين الشرق الزمان ، وأن الجانبين الصليبي والإسلامي تأثرا بها في مناحي الحياة كافة، الاجتماعية والسياسية والعسكرية والاقتصادية والفكرية، ولكي نفهم والغرب في شتى جوانبها ، يجب أن نسلط على الكتابات التي أرخت لهذه الحركة في الشرق والغرب على حد سواء .

ثانياً: غلبة الأسلوب الأدبي على كل من العماد الأصفهاني والمؤرخ الصليب امبرويز، وهذا مرده إلى كونهما أديبان.

ثالثاً: على الرغم من هزيمة المسلمين في معركة أرسوف، إلا أنها لم تكن من المعارك الفاصلة التي أثرت بشكل رئيس في مجريات الأحداث التاريخية، لذلك نجد أن المصادر العربية لم تهول من الهزيمة لانعدام آثارها ، أم الصليبيون فقد أحاطوها بهالة من الاهتمام لإبراز بطولات ملك انجلترا ريتشارد قلب الأسد .

Sources:

The Holy Quran

- Ibn al-Athir, Izz al-Din Abu al-Hasan Ali ibn Abi al-Karm al-Shaibani (d. 563 AH)
- 1- Al-Kamil fi al-Tarikh fi al-Dawla al-Atabek, edited by: Abdul Qadir Ahmad Talian, Dar al-Kutub al-Hadithah, (Cairo,).
- Ibn al-Jawzi, Jamal al-Din Abi al-Faraj Abd al-Rahman (d. 597 AH)
- 2- Al-Muntazam fi Tarikh al-Muluk wa al-Umam, Haidar Ayad Dar al-Maarif al-Uthmaniyya.
- Ibn al-Furat, Nasser Muhammad bin Abdul Rahim (d. 807 AH)
- 3- History of Ibn al-Furat, edited by: Hassan Muhammad al-Shamaa, Al-Ahrar Press (Basra, 1967 AD)
- Ibn Battuta, Muhammad bin Abdullah al-Lawani (d. 779 AH)
- 4- Tuhfat al-Nazar fi Ghara'ib al-Amsar wa 'Aja'ib al-Asfar, edited by: Ali al-Muntasir al-Kitab, founder of al-Risalah, 4th ed., (Beirut, 1984 AH).
- Ibn Shaddad Yusuf bin Rafi bin Tamim (d. 632 AH)
- 5- Al-Nawader Al-Sultaniyya and Al-Mahasin Al-Bostiyya, edited by: Jamal Al-Din Al-Shiyal, General Authority for Cultural Palaces (Cairo, n.d.)
- Ibn Kayz, Imad Al-Din Ibn Fida Ismail Al-Quraishi (d. 774 AH)
- 6- Al-Bidayah wa Al-Nihayah, edited by: Ahmad Sufyan and Muhammad bin Abawi, Al-Safa Library (Cairo, 2003 AD)
- Ibn Mamati, Al-As'ad (d. 606 AH)
- 7- Qawain Al-Dawawin, edited by: Aziz Attia, Marbuli Library (Cairo, 1991 AD)
- Ibn Wasil, Jamal Al-Din Muhammad bin Salem Al-Hamawi (d. 697 AH)
- 8- Mufrij Al-Kurub fi Akhbar Bani Ayyub, edited by Jamal Al-Din Shiyal, Al-Umawiyya Press (Cairo, 1957 AD)

- Abu Shama, Shihab al-Din Abd al-Rahman Ismail al-Maqdisi (d. 665 AH)
- 9- Al-Rawdatayn fi Akhbar al-Dawlain al-Ashuriya wa al-Salahiya, edited by Ibrahim Shams al-Din, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah (Beirut, 2002 AD)
- 10- Ambroise, Salibi Richard, translated by: Suhail Dhakar, Al-Mawsu'ah al-Shamiya, Dar al-Fikr for Publishing, (Damascus, 1998 AD)
- Ibn Khallikan, Abu al-Abbas Shams al-Din Ahmad ibn Muhammad (d. 681 AH)
- 11- Deaths of Notables and Sons of the Age, edited by: Shukri Faisal, Iraqi Scientific Academy (Baghdad, 1955 AD)
- Al-Bandari, Qawam al-Din Abu al-Fath ibn Ali (d. 642 AH)
- 12- Sana al-Barq al-Shami, edited by: Salih Hussein, Abdul Hameed Shoman Foundation, (Amman, 1987 AH).
- Al-Janbali, Abdul-Mu'min bin Abdul-Haqq (d. 739 AH)
- 13- Observatory of Knowledge of Names, Places and Spots, Dar Al-Jabal, (Beirut, 1412 AH)
- Joinville, Jean Serdy
- 14- Memoirs of Joinville, Al-Quraishi Louis, His Life and Campaigns in Egypt, Translated by: Haidar Al-Hussaini, Dar Al-Maaref Al-Masryia (Cairo 1968 AD)
- Al-Himyari, Abu Abdullah Muhammad bin Abdullah (d. 900 AH)
- 15- Al-Rawd Al-Mu'tar fi Khair Al-Aqtar, Edited by: Lafi Professional Al-Jabal, 2nd ed., (Beirut, 1988 AD)
- Al-Dhahabi, Muhammad bin Ahmad bin Othman (d. 748 AH)
- 16- History of Islam, Deaths of Celebrities and Notables, Edited by: Omar bin Abdul Salam, Dar Al-Kitab Al-Arabi (Beirut, 1987 AD)
- Sabt Ibn Al-Jawzi, Shams Al-Din Ibn Qaza and Ali (d. 654 AH)
- 17- The Place of Time in the History of Notables, edited by: Suhail Zakar, Al-Takween for Authorship and Book (Damascus 2007 AD)
- Al-Subki, Abdul Wahhab bin Ali (d. 771 AH)
- 18- The Great Classes of Shafi'is, edited by: Abu Abdul Fattah Muhammad Halu, Dar Aayan Al-Ilmiyyah, 6th ed., (Cairo, no date)
- Al-Suri, William (d. 581 AH)
- 19- History of the Crusades, translated by Hassan Hussein, Egyptian General Book Authority (Cairo, 1992 AD)

- Al-Imad Al-Isfahani, Abu Abdullah Muhammad bin Muhammad Al-Katib (597 AH)
- 20- Al-Fath Al-Qasi in Al-Fath Al-Qudsi, edited by: Ibrahim Shams Al-Din, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, (Beirut, 2003 AD).
- Al-Falafstri, Abu Al-Abbas Ahmad bin Abdullah (d. 821 AH)
- 21- Al-A'sha in the Art of Composition, Egyptian Book House Printing House, (Cairo, n.d.)
- Al-Faylisuf, Abu Al-Abbas Ahmad bin Abdullah (d. 821 AH)
- 22- Al-A'sha in the Art of Composition, Egyptian Book House Printing House, (Cairo, n.d.)
- Dictionary of Countries, presented by Muhammad bin Abdul Rahman Al-Mar'ashli, Dar Ihya Al-Turath and Al-Arabi Beirut (Beirut, n.d.)
- Anonymous author
- 23- The Third Crusades, translated by: Hussein, Egyptian General Book Authority (Cairo, 2000 AD)
- Al-Waqidi, Abu Abdullah Muhammad bin Omar bin Waqid (d. 227 AH)
- 24- Futuh Al-Sham, edited by: Abdul Latif bin Abdul Rahman, Scientific Book House (Beirut, 1997 AD)
- Yaqt al-Hamawi, Shihab al-Din Abu Abdullah (d. 626 AH)
- 25- Dictionary of Writers, Dar al-Fikr (Beirut, 1980 AD)

Bibliography:

- Biniz, Turman
- 1- The Byzantine Empire, translated by: Hassan Mu'nis (Cairo, 1950 AD)
- Jawad, Ali
- 2- Al-Mufasssal fi Tarikh al-Arab Qabl al-Islam, Dar al-Sadi (Cairo, 2001 AD)
- Jonathan, Smith
- 3- The First Crusade, translated by: Muhammad Fathi al-Sha'ir, Egyptian Book Authority (Cairo, n.d.)
- Byzantine Civilization, translated by: Abdul Aziz Tawfiq, Egyptian Book Authority, (Cairo, 1966 AD)
- Al-Rasufi, Ibrahim Shana

4- The Great Persian Dictionary, Moloub Library (Cairo 1992 AD)

- Reisman, Stephen

5- History of the Crusades, translated by: Nour El-Din Khalil, 2nd ed., Egyptian Book Authority, (Cairo 1994 AD)

- Zayyat, Habib

6- The Cross in Islam, 2nd ed., The Paulist Church, (Beirut 2005 AD)

- Shabaro, Essam Mohamed

7- Sultans in the Islamic Introduction, Dar Al-Nahda Al-Arabiya for Printing (Beirut, 1994 AD)

- Al-Sharyani, Jihad

8- One Hundred Great Men of the Islamic Nation, Zad Al-Taqwa for Printing (Cairo, 2010 AD)

- Sobh, Mustafa Ahmed

9- The Crusader-Islamic Conflict in the Flexibility of Ambroise, Alexandria University, Faculty of Arts, Department of Egyptian Islamic History and Antiquities, Master's Thesis, 2008 AD.

- Taqoush, Muhammad Suhail

10- History of the Crusades, Dar Al-Nafayes (Cairo, 2008)

- Qasim Abdo Qasim

11- The First Crusade, Ain Al-Diraasat Wal-Buhuth (Egypt 2001)

- Al-Youssef, Abdul Qader

12- The Byzantine Empire, Egyptian Library (Cairo 1966)